

# كيف يدجن الليبراليون العلم والعلماء والمثقفين

## مروجو «العلم الصلب» يضللون الناس خدمة لمصالح الشركات الكبرى



### الشركات العملاقة تستغل العلم والعلماء

الوجوه البارزة في اليمين المتطرف الأمريكي. غير أن المقالة التي ألفها عالم حشرات، وهو في الواقع مستشار لدى منظمة - واجهة يمولها صانع السجائر فيليب موريس، لم تتوصل إلى فرض سرديتها الكاذبة في فرنسا، فاستعانت بالحركة العقلانية الفرنسية ومجلتها «العلم والعلوم المزعومة»، وكلتاهما من أهم ركائز ترويج تلك المزاعم، للتأثير في الأسيديين الذين راعهم مصير أطفال العالم الثالث.

والكتاب يصف بالتدقيق كل الشبكات الاجتماعية والثقافية والمالية والعلمية التي تستند إليها هذه الهجمة «العقلانية المحافظة»، التي تتمركز داخلها «هومينيس» وهي فرع من شركة إعادة تأهيل أسسها دنيس كيسلر، مدير مساعد سابق بمنظمة الأعراف يملك واجهة عريضة من الناشرين مثل لويومي، ومنشورات الأوبسرفاتور، والمنشورات الجامعية، ونشرية علمية مثل «من أجل العلم»، وخاصة «المخ والنفس» التي جعلت من علوم الجهاز العصبي والوراثيات حقلها المعرفي المفضل، لنشر ما اصطاحت على تسميته بـ«إيفويسبي» أو التطور السيكولوجي، وغيابته نقد الأفكار النسوية والزمع بان المرأة خلقت لتكون خاضعة لهيمنة الرجل.

وليس أدل على تهافت تلك الفئة التي تدعى العلم والمعرفة من موقفها من الجائحة، فقد استهانت بها رؤوسهم مثل غاسبار كونينغ، مدير النشر بدار الأوبسرفاتور، وجيرالد برونر أستاذ علم الاجتماع بجامعة ديور بباريس، ثم قللوا من خطورتها قولا وكتابة في أكثر المواقع انتشارا، ووجدت أقوالهم وكتاباتهم لدى الذين أسلفنا ذكرهم بوقا يرند مزاعمهم، عن وعي وغير وعي.

يقول المؤلفون في خاتمة هذا الكتاب، الذي يعتبر بحثا جادا عن التضليل العلمي، إن كان لجائحة كوفيد - 19 فضل، فهو أنها أمطت اللثام عن حقيقة استغلال الليبراليين، المستترين بالعقلانية، للسلطة العلمية ونفوذها.

صناعي يجمع تقريبا كل المصانع الكبرى للكيمياء والزراعة. أو «مجلة الأطباء والجراحين الأميركيين» التي هي في الحقيقة مجموعة ضغط متحذرة من اليمين المتطرف الأمريكي، ومن بين مزاعمها أن الإجهاد يزيد من مخاطر سرطان الثدي، وأن منع «دي.دي.تي»، تحت ضغط حماية البيئة، تسبب في موت آلاف الأطفال بالملاريا، والحال أن استعمالها في الفلاحة هو الذي منع في الولايات المتحدة منذ السبعينات، قبل أن يسري المنع في شتى أنحاء العالم، بينما بقي ذلك المبيد يستعمل في مكافحة الحشرات الناقلة للأمراض.

### هناك نفر من رجال العلم والثقافة يساهمون عن دراية في ترويج محتوى مشروع سياسي يموله أرباب المال والصناعة

والأخطر منها حكاية هستيريا الخوف من العلاج الكيميائي، التي تقف وراءها خلية تفكير ليبرالية أميركية تعرف باسم «معهد المشاريع التنافسية»، وقد تسربت إلى فرنسا عبر مجلة «فورزيون» (التحام) النسخة الفرنسية لفصلية أميركية بعنوان «علوم وتكنولوجيا القرن الحادي والعشرين» أسسها ليندون لاروش، أحد

ولئن كان استعمال المواطنين العاديين كسند لاستراتيجيات التأثير ليس بجديد، فإنه وجد في المواقع الاجتماعية وسيلة للانتشار على نطاق واسع. والغاية هي منافسة كنفيدالية الأعراف الكلاسيكية من خلال خلق تجمع مواز يشرف عليه مكتب خدمات استشارية للتشكيك في كل ما لا يخدم مصالح أصحاب هذه السياسة من جهة، ومن جهة ثانية فرض أمر واقع باسم العلم، كما حصل في كل الخلافات الاجتماعية التقنية حول الغلافوسات والمبيدات الحشرية والطاقة النووية والكائنات المعدلة وراثيا.

والكتاب يفتد في مواقع كثيرة الحجج التي يستعملها مناخضو «مبدأ الحذر»، أولئك الذين ينتقدون «النفور من الخطر» وهم بعيدون عن من هم أكثر عرضة له. ومنها الادعاء بأن التعلق ليس السببية، وهو مبدأ علمي صحيح ويعتبر ركيزة من ركائز البحث العلمي، ولكن يقع تحويله هنا للطنع في الروابط بين التعرض للمواد وبعض الأمراض، استنادا إلى أن كل دراسة عن الأوبئة لا يمكن أن تثبت إلا التعلق، أي الارتباط المتبادل بين مادة وأثارها. فهم يؤكدون أن ثمة فرقا بين التخوف والخطر بخصوص الغلافوسات مثلا، ويدعون أن المقدر هو الذي يمثل سماً وليس المادة في حد ذاتها. هذه الحجة وقع الترويج لها لاحقا عبر إذاعتي فرنسا الثقافية وفرنسا الإخبارية من خلال فيديو يزعم واضعوه أنه خضع لتدقيق الحقائق، يبين فيه هيرفي لوبار، الناطق الرسمي باسم الجمعية الفرنسية للمعلومات العلمية، أن تقييم الخطر، الناجم عن شرب لتر من الغلافوسات، لا يمكن أن ينظر إليه نظرة تخوف وارتياح، ما دام الفرد لا يمكن أن يحتسى مثل تلك الكمية. وبذلك تخلق حصة صحافية تدعي تدقيق الحقائق تضليلا في أوساط الشعب، بطريقة تشبه ديستوبيا أوربوية.

كما يبين الكتاب كيف يتستر مروجو هذا «العلم الصلب» المرتبطون ارتباطا وثيقا بمصالح الصناعيين خلف أسماء مضللة مثل «المعهد الدولي للعلوم الحياة» الذي يحمل اسم منظمة بحوث علمية والحال أنه لوبي

ولكنها كسائر رفاقها، يلتقون حول خطاب مناصر للتكنولوجيات مناخض للإيكولوجيا، وتقصد صارم للسياسات الاجتماعية والصحية. هذا التغيير التكتيكي يسمح بعبثرة الآثار السياسية، فبعد أن كانت الأفكار العقلانية التي تربط العلم بالتطور من أسس اليسار، صارت اليوم تخضع لأجندة محافظة أو رجعية، وتندرج في ثنائية مضللة بين عالم التصنيع والمخاطر المباشرة بحياة أفضل، والحياة البدائية على طريقة «أميش» (طائفة مسيحية مغلقة ترفض التقدم وتعيش عيشة بدائية)، وبين تضخم الأخبار الكاذبة القائلة بنظرية المؤامرة، والانفعالات اللاعقلانية.

وفي فرنسا مثلا، كانت مجلة «العلم والعلوم المزعومة»، التي تصدر عن الجمعية الفرنسية للمعلومات العلمية، تخصص حتى التسعينات أكثر من نصف مقالاتها لفضح العرافين ودارسي الأجسام الطائرة المجهولة الهوية والتحليل بخصوص البيوت المسكونة، صارت تنتشر مقالة من اثنتي عشرة هدف إلى طمأننة الجمهور الواسع حول التطبيقات الصناعية للتكنولوجيات الجديدة، وتتهجم صراحة على المدافعين عن البيئة ونقاد التكنولوجيات.

وقد دأبت هذه المجلة منذ مطلع الألفية على ترويج عبارة «التشكيك في تغيير المناخ» دون أن تذكر أن أول من استعمل المصطلح في فرنسا تحت اسم شارل مولر، الذي تقدمه كمحرر علمي، هو في الواقع شارل شامبيتي، رئيس تحرير سابق لمجلة «إيليمان» (عناصر)، لسان اليمين الجديد المتصلب الذي يرأسه الآن بونوا.

### استغلال السلطة العلمية

من بين من أسماهم المؤلفون «كتائب العلم»، نجد صناعيين ومنظماتهم مثل اتحاد صناعات حماية النبات، وتوابعها كغرفة التجارة أو الفيدرالية القومية لنقابات المستثمرين الفلاحيين، وخبراء في شتى التخصصات، ومراكز بحوث مثل مؤسسة التجديد السياسي (فوندابول) ومعهد سابينس، ومثقفين أبرزهم عالم الاجتماع جيرالد برونر، وصحافيين أمثال بيغي ساستر، وجيرالدين فوسنر، وإيمانويل دوكرو، وموظفين سامين أشهرهم لوران الكسندر. ولكن هذه الكتائب تضم أيضا رجال علم وعلماء اجتماع، مثلما تضم طلبة ومدونين وجمعيات لهواة العلم يرؤجون عن حسن نية ما تصدره تلك الهيئات العلمية المدججة. ذلك أن الاستراتيجية الجديدة تعمل عمل وكالات اتصال عامة، غابقتها الارتكان على المواطنين العاديين لدفعهم إلى المساهمة في مشروع سياسي لا يعرفون طبيعته ولا مراميه.

تجتاح الشبكة الإلكترونية والمواقع الاجتماعية مقالات وفيديوهات مستترّة بالعلم والمعرفة، وتبث معلومات عن جائحة كوفيد - 19، وهي في الواقع مدفوعة الأجر، تقف وراءها لوبيات وشركات كبرى لا غاية لها سوى تحقيق مصالحها ولو فني الكون. وقد شهدنا مثيلاتها منذ أواخر القرن الماضي تنتشر الأكاذيب حول صناعة التبغ والطاقت الجوفية والمبيدات الحشرية، وتنفي خطورة منتجاتها، ولكنها صارت اليوم تسعى إلى الاستيلاء على سوق المعلومة العلمية، وتستهدف كل مستخدم الإنترنت.

ترويج محتوى مشروع سياسي يموله أرباب المال والصناعة، الذين تجمعهم أيديولوجيا مناخضة البيئة والحركات النسوية، ليشكلوا فئة تستهين بالحقيقة، باسم العلم، أي أن «الظلامية عادت، ولكننا اليوم أمام أناس يحتكمون للعقل» كما قال بورديو.

صحيح أن تسخير الشركات العملاقة العلم لغايات اقتصادية وسياسية سبق إثارتها وفضحه، ولكن هذا الكتاب يبين بالأدلة والبراهين الدرجة التي بلغها المخاطر التخزين والمواد الكيميائية والمشروبات الغازية.

والمؤلفون يستكشفون الحدود الجديدة لعملات اللوبي ودرجات المروعة التي بلغت استراتيجيات الشركات العملاقة في الدفاع عن مصالحها، باستعمال العلم وسيلة للتضليل. لم يعد التأثير على أصحاب القرار يحتاج إلى دراسات تستند إلى حقائق علمية، بل صار يمر عبر أدعاء الدفاع عن العلم كحق عام، فالوقوف ضد المبيدات الحشرية واستعمالها الرهنة، والتشكيك في استخدام التكنولوجيا الحيوية ونقد الصناعة النووية باتت الاعلانية، وتأييدا للظلامية.

وبما أن استراتيجيا «صناعة الشك» ولي أمرها، فقد وضعت استراتيجيا جديدة تتمثل في أن تتولى هيئة علمية تقديم دراسات لحرفائها توصف بكونها معارف تحظى بتأييد العلماء، ولا يمكن بالتالي أن ياتيا الشك.

وقد نجحت هذه الاستراتيجية في بريطانيا حيث تم بعث مركز الإعلام العلمي عام 2002 كشكل جديد من وكالات الأنباء، شبيهة بأكاديمية العلوم في فرنسا، بتحويل من الدفاع عن القطاع الخاص، وتخطيط من مجموعة من المدافعين عن التقنية العلمية والصناعة، فصار مرجعا في المسائل العلمية والتكنولوجية، يصدر أحكاما كاقول الفصل.

وقد عهد بإدارة هذا المركز لفيونا فوكس التي كانت تنتمي كبقية واضعي المشروع إلى الحزب الشيوعي الثوري، ومجلة «الماركسية الحية» التي يصدرها،



صناعات عملاقة لا يوقفها شيء



الصناعة أضرت بالبيئة

أبو بكر العبادي  
كاتب تونسي

من منّا لم تصادفه على صفحته بفيسبوك أو على حسابه الخاص دراسات موثقة وفيديوهات لعلماء وأطباء وأكاديميين ومثقفين وصحافيين وحتى وزراء سابقين يتفنون من خلالها كل ما يروج عن جائحة كوفيد - 19، ويذعنون الكشوف عن الحقائق المغيبة.

الشركات الكبرى لم تعد تكتفي باللوبيات ولا بأساليبها القديمة في استمالة نواب الشعوب ووزراء الحساب الخاص بيوتوب، وتطويعهم بضائع الشركات التي تمثلها، بل أوجدت وكالات متخصصة مهمتها الوصول إلى أساتذة البيولوجيا في المعهد، ومبسط العلوم والمعارف، والمدون، وصاحب الحساب الخاص بيوتوب، وتطويعهم لخدمة أهدافها، بعد أن نجحت في تحويلهم إلى ناشري رسائلها، وتقديمهم على أنهم «حراس العقل». وهو عنوان كتاب ساهم فيه ستيفان فوكار وزميلته جريسة لوموند ستيفان هوريل، اللذان ساهما من قبل في فضح انحراف شركة مونسانتو الأميركية، إلى جانب عالم الاجتماع سيلفان لورانس، الأستاذ المحاضر بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس.

### التغيير التكتيكي

ثمة قائلون بنظرية المؤامرة، يبدون باقوياء هذا العالم دون أن يملكو أدلة على مزاعمهم، مثل مخرج الشريط الفرنسي «سطو» الذي أثار استياء كبيرا في الأيام الأخيرة، لتبنيها أباطل واضع لا يملك عن صحتها أي حجة. وثمة أيضا متآمرون أقوياء، نصبوا أنفسهم حراسا للعقل، يقضون أوقاتهم في ملامسة أكبر قدر ممكن من السذج لإقناعهم بما يزعمون أنها حقائق لا تقبل الدحض.

قلّة من مدققي الحقائق والمعلومات فقط يجهلون أنهم بضخمون ويرؤجون عناصر الخطاب التي تجمعها وكالات علاقات عامة، ولكن نفرا من رجال العلم والثقافة يساهمون عن دراية في